جامعة الجيلالي بونعامة خميس مليانة

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

قسم العلوم الإنسانية

شعبة علم المكتبات والتوثيق

المستوى: السنة الأولى ماستر

تخصص: إدارة المؤسسات الوثائقية والمكتبات

مقياس: الصناعة الثقافية

السداسي: الأول

المحاضرة الأولى: مفهوم الصناعة الثقافية **إعداد الأستاذة: جلاب فتيحة**

مفهوم الصناعة الثقافية:

حتى يتم فهم هذا المصطلح لابد من تناول كل مفردة على حدة الصناعة من جهة والثقافة من جهة أخرى قبل المرور للتعرف على مفهوم مصطلح الصناعات الثقافية كلية.

أولا: مفهوم الصناعة:

لقد عاشت البشرية مراحل عديدة، ولم تصل إلى ما وصلت إليه اليوم دون المرور على هذه المراحل، والمرحلة التي تعيشها البشرية اليوم هي مرحلة المجتمع الصناعي القائم على أساس الصناعة، ومصطلح الصناعة الذي نحن بصدد التطرق إليه ليس الصناعة بالمعنى اللغوي للكلمة والذي يستخدم للدلالة على القدرة على القيام بشيء ما، بل هي الصناعة التي يدل معناها على النمط الإنتاجي الذي عرفته البشرية في المرحلة الحديثة والمعاصرة من تاريخها، وللتعمق في فهم هذا المصطلح لابد من التطرق للمرحلة التاريخية التي ظهر فيها، وكذا الظروف التي سمحت له بالتطور لكي يصبح نمط انتاجي جديد، سيغير بشكل جذري الكثير من

مظاهر الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية وذلك بداية بالقارة الأوروبية ومن ثمة بقية العالم، وقد جاءت مرحلة الصناعة بعد مرحلة الإقطاع القائم على ملكية الأرض والذي سيطر على المجتمعات الأوروبية لقرون طويلة، وهذا النظام بدأ يتخلخل ويتراجع ليترك المكان للنظام الصناعي الجديد، وكانت هناك مجموعة من العوامل التي ساهمت في تراجع هذا النمط من جهة وبروز النمط الصناعي من جهة أخرى، ومن أهمها نذكر مايلي:

أ. **عصر النهضة الأروبية:** وهي حدث مهم ومركزي بالنسبة للأروبيين وقد بدأت بوادرها في نهايات العصور الوسطى وبدايات العصور الحديثة، وخلالها بدأ الأروبيين بالاهتمام وبالرجوع إلى التراث القديم للإغريق والرومان، وهو ما سمح لهم بالانطلاق في تحولات أخرى في مجالات أخرى، وقد انطلقت هذه النهضة من فلورنسا بإيطاليا لتنتشر بعد ذلك في مختلف الأقطار الأوروبية الأخرى، وتشكلت بعد ذلك النواة الصلبة التي سيقوم عليها المجتمع الصناعي الجديد الذي ستعرفه أوروبا.

ب. **الكشوف الجغرافية وظهور الرأسمالية التجارية:** لقد كانت الكشوف الجغرافية التي بدأتها أوروبا في المرحلة الحديثة من تاريخها حدثا مهما ومركزيا كذلك، فأوروبا التي انطوت على نفسها طويلا في ظل النظام الإقطاعي ستتحول تدريجيا إلى العالم الخارجي بهدف البحث عن موارد اقتصادية أخرى، وهذا ما سيؤدي إلى ظهور ما يسمى بالرأسمالية التجارية، والبداية كانت مع الإسبان والبرتغاليين، ثم ظهرت بعد ذلك الشركات التجارية والاحتكارية الإنجليزية والهولندية، وأدى كل ذلك إلى تراكم كبير لرؤوس الأموال، والذي لم تعرف أوروبا له مثيلا في السابق مما سمح بتبلور وتكون طبقة اجتماعية واقتصادية جديدة رأسمالية ستنافس الطبقات الأرستقراطية والإقطاعية القديمة.

ت. **حركة الإصلاح الديني:** كما هو معروف فإن المجتمع الإقطاعي القديم كان مرتبط عضويا بالكنيسة البابوية في روما، أي أنه لا يمكن فصل السيطرة الاقتصادية والسياسية للإقطاع عن السيطرة الفكرية للكنيسة، لذا فإن حركة الإصلاح الديني باعتبار أنها كانت موجهة ضد الكنيسة ستؤثر حتما على النظام الإقطاعي، وهذا ما جعل المجتمع الجديد الرأسمالي مرتبط بأفكار الإصلاح الديني، وهذا ما جعل المفكر الألماني "ماكس فيبر" في مؤلفه الشهير الأفكار البروتستانتية وروح الرأسمالية" يربط بين حركة الإصلاح الديني وظهور المجتمع الصناعي، أي أن السبب الحقيقي للرأسمالية هو سبب ديني فكري بالأساس فهي التي ساهمت بالأساس في انتقال المجتمع الأوروبي من المجتمع القديم الإقطاعي إلى المجتمع الجديد الصناعي والتجاري.

ث. **الثورة الصناعية:** في المنتصف الثاني من القرن الثامن عشر ستعرف أوروبا تحولا آخر وهو الأهم في تاريخ النظام الرأسمالي وهو ما يصطلح عليه اليوم بتسمية الثورة الصناعية، أو ما كان يطلق عليه في تلك الفترة بالنظام الإنجليزي، لأن بداية هذه الثورة كانت في إنجلترا ثم انتشرت بعد ذلك إلى دول أخرى، ويشير مصطلح الثورة الصناعية بشكل عام بعد ذلك إلى التطور الكبير الذي عرفته تقنيات الإنتاج خاصة بعد 1871، ويحدد "دافيد لاند" David Land الخصائص الأساسية لهذه الثورة كما يلي: 1. تعويض الآلة للمهارة والجهد الإنساني. 2. تعويض مصادر الطاقة غير الحيوانية للمصادر الحيوانية. 3. تعويض مواد أولية جديدة ومتوفرة بشكل كبير خاصة المعدنية والصناعية للمواد النباتية والحيوانية. ومجمل هذه التحولات هي التي ستؤدي إلى بروز شكل إنتاجي ضخم للسلع وهذا الأخير سيتطلب حتما سوقا لتصريف هذه المنتجات، لذا سيصبح الاستهلاك مفهوما مركزيا ومحوريا للإنتاج الصناعي، فالرأسمالية الصناعية تطورت على أساس الإنتاج الموجه للتسويق، وذلك على خلاف أنظمة الإنتاج السابقة التي كانت تقوم بشكل أو بآخر على اقتصاد الاكتفاء الذاتي، أما النظام الرأسمالي فقد توجه منذ الوهلة الأولى نحو السوق فهو ينتج لكي يبيع، إذن هذا النظام قائم على الإنتاج بداية ثم ليتم استهلاك هذا الإنتاج في مرحلة لاحقة، ولا يمكن لهذا النظام أن يستمر بدون هذين العنصرين. ولفهم أكثر التحولات التي شهدها المجتمع الصناعي لابد من التطرق إلى المراحل التي مرت بها الثورة الصناعية بشكل عام كما يلي:

- **الثورة الصناعية الأولى:** وهي التي بدأت حين عرفت أوروبا ظهور الآلة البخارية والتي سمحت بتطور وسائل النقل في القطارات والبواخر، وكذا تطور تقنيات الإنتاج وذلك بفضل الإختراع الثوري ل "جيمس واط"، وكانت البداية بإنجلترا ثم انتشرت في باقي الأقطار الأوروبية بعد ذلك، وكانت الصناعات الأكثر انتشارا في هذه المرحلة هي صناعة النسيج وكذا الصناعات التحويلية خاصة المتعلقة منها بالتعدين، وهذه المرحلة هي التي عاش فيها الإنسان الأوروبي ظروف عمل قاسية.
- **الثورة الصناعية الثانية:** ويعتبر اختراع الطاقة الكهربائية كأهم معلم في هذه المرحلة التي تعتبر بالفعل مرحلة جديدة ستشهد الكثير من التحولات الاجتماعية والاقتصادية وحتى الثقافية بسبب ظهور اختراعات جديدة ومتسارعة، وكل ذلك كان في المنتصف الثاني من القرن التاسع عشر، وخلال هذه المرحلة ستتحسن أحوال الطبقة العاملة بشكل تدريجي.

- **الثورة الصناعية الثالثة:** يعتبر البعض أن التطورات الهائلة التي عرفتها التكنولوجيات الحديثة للإعلام والاتصال قد أثرت وغيرت الكثير من المبادئ التي قام عليها النظام الصناعي، وبالتالي يمكن اعتبار ذلك كثورة صناعية ثالثة، فاكتشاف الرقاقة الالكترونية Puce في سنوات 1970 قد أطلق الثورة الصناعية الثالثة، ومنذ ذلك الحين فإن التكنولوجيا الرقمية ساهمت بشكل كبير في إعادة النظر في كثير من القواعد التي ارتبطت بالنظام الصناعي خلال القرن التاسع عشر والعشرين.

بناء على ما سبق ذكره فإن الصناعة هي ذلك النشاط الإنتاجي الجديد الذي ظهر في المرحلة الحديثة والمعاصرة من التاريخ الإنساني، والذي اعتمد بالأساس على تطوير تقنيات الإنتاج الجديدة والتي أدت إلى زيادة الكميات المنتجة بشكل غير مسبوق وهو ما سمح لشرائح واسعة من المجتمع بامتلاك المقدرة على الوصول إلى هذه المنتجات واستهلاكها.

وعلى العموم أبرز ما أنتجته ظاهرة الصناعة يمكن اختزاله في نقطتين أساسيتين هما:

1. نظام انتاجي ضخم 2. استهلاك جماهيري للإنتاج الضخم.

ثانيا: تعريف الثقافة:

لقد تم تناول هذا المصطلح من جوانب متعددة، فهناك من يتطرق له بشكل عام وفلسفي وهناك من يتناوله بشكل خاص لتلائم مع الظاهرة والموضوع المدروس، ومفهوم الثقافة المرتبط بموضوع الصناعات الثقافية يختلف عن المفهوم الفلسفي والأنثروبولوجي العام للثقافة ولكن سيتم تناول المفهوم العام أولا لأن يتعمق الفهم أكثر:

- **المفهوم العام للثقافة:** الثقافة خاصية متعلقة بالإنسان رغم وجود بعض الدراسات التي تتكلم عن الثقافة الحيوانية، ومصدر هذا التميز الذي حضي به الإنسان لامتلاكه العقل الذي جعله يتطور ويتقدم، وهذا التقدم بعناصره المختلفة والمتعددة هو الذي يمكن أن نطلع عليه بالثقافة والأصول اللاتينية تدل على ذلك المعنى الأصلي لكلمة ثقافة CULTURE التي جاءت من المصطلح والذي يرمز إلى الاهتمام بالحق وفلاحة الأرض وهذه الأرض المزروعة تختلف حتما عن الأرض البور ومن هنا استعير هذا المصطلح ليشير إلى خدمة الروح، ويشير كذلك إلى الشخص الذي يطور إمكانياته الفكرية والحسية من خلال التربية، القراءة، التعلم، الدراسة، التفكير، السفر والعلاقات الإنسانية، إذا خدمة الإنسان للأرض هي بهدف إعطائها شكل آخر مخالف لشكلها الأصلي أو الطبيعي وذلك من خلال جعلها تنتج أشياء جديدة وبطرق مختلفة وبناء

على هذا يمكن اعتبار الثقافة بأنها تلك الإضافة التي أضافها الإنسان للطبيعة إذ يعتبر هذا الأخير هو المخلوق الوحيد الذي استطاع إدخال تعديلات معتبرة على محيطه الطبيعي فطور مسكنه، لباسه وطعامه، أي أن الثقافة لم تسمح فقط للإنسان بالتأقلم مع محيطه، لكن كذلك لتكييف هذا الأخير له ولحاجياته ومشاريعه، وبعبارة أخرى فإن الثقافة هي التي سمحت بإمكانية تغيير الطبيعة، والثقافة على المستوى الأنثروبولوجي تختلف كثيرا عن المفهوم الفلسفي، فهي كل ما لا يولد به البشر، ومن ثم فهي تشمل مخترعات الإنسان وانتاجه المادي أو غير المادي، وهذا ما ينصرف إليه التعريف المشهور لفريديريك تايلور في كتابه الحياة البدائية: والذي يعرف فيه الثقافة بأنها "الكل المركب الذي يشمل على المعرفة والمعتقدات والأخلاق والقانون والعرف وغير ذلك من الإمكانيات والعادات التي يكتسبها الإنسان باعتباره عضوا في المجتمع.

المفهوم الخاص للثقافة: في هذا المستوى تتعدد مفاهيم الثقافة فهي تستخدم في كل المجالات تقريبا، فيقال مثلا ثقافة وطنية، ثقافة عالمية، ثقافة طلابية...إلخ، إذن فمصطلح الثقافة يتم استدعائه في كثير من الخطابات المختلفة للدلالة على موضوع معين وهذا ما يدعو إلى توضيح مفهوم الثقافة في إطار الصناعة الثقافية، والتي تشير بالأساس إلى مجموعة من الأنشطة الإنسانية ذات الصبغة الفنية والفكرية، ولكي يتم اعتبار أي نشاط بمثابة نشاط ثقافي لابد من أن توفر فيه ثلاثة خصائص هي:

- يجب أن يجسد بطريقة ما شكل للإبداع في طريقة انتاجه.
- يجب أن ينتج ويعبر عن مواد رمزية
- ويجب أن يجسد على الأقل شكلا من أشكال الملكية الفكرية

وعليه فحسب هذه المعايير فإن الأدب المسرح السنيما الغناء التصوير...إلخ، يمكن أن يتضمنها هذا المفهوم الخاص للثقافة، ينصرف بشكل كبير لمفهوم الفن الذي يعبر عن عمل خاص بشخص واحد أو مجموعة من المبدعين ويفرض على كل الأعمال التي تريد أن تكون ضمن الأعمال الفنية أن تتوفر على شرطين هما:

- الأصالة فالعمل الفني يجب أن يكون أصيلا نتاج عمل فنانين
- أن يكون متفردا فالعمل الفني يجب أن يكون فريدا ونادرا.

ثالثا: تعريف الصناعة الثقافية:

هي الأنشطة التي تنتج وتعيد انتاج الأعمال الثقافية حسب مبادئ الإنتاج الصناعي، أي أن الأعمال الثقافية والفنية الأصلية يمكن أن تحول صناعيا إلى سلع استهلاكية تعرض في السوق مثلها مثل السلع الصناعية الأخرى، وذلك من خلال الإنتاج الضخم لها والذي يقابله حتما استهلاك جماهيري ضخم، وتعرف كذلك بأنها مجمل الأنشطة الإنتاجية والتبادلية للمواد الثقافية التي هي في تطور مستمر، والتي تخضع للقواعد التجارية وتكون فيها تقنيات الإنتاج متطورة بشكل كبير أو بشكل أقل. وتشمل الصناعة الثقافية على أشكال عديدة يتم حصرها عادة في أربعة محاور هي كما يلي:

1. الطباعة والكتاب
2. الموسيقى المسجلة
3. السينما والسمعي البصري
4. الاعلام والصحافة

وتحت هذه المحاور الأساسية نجد عددا من الصناعات الثقافية: التلفزيون، الراديو، السينما، ألعاب الفيديو، الصحافة المكتوبة ....إلخ.